٥٣

اعتقاد

أبي عبد الله المالكي
محمد بن عبد الله بن عيسى
المعروف بـ (ابن أبي زَمَنِين)

(٣٩٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

وفيه:

أصول السنة واعتقاد السلف

التعريف بصاحب العقيدة

الاسم: محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المُرِّي الألبيري الأندلسي.

كنيته: أبو عبد الله.

الشهرة: ابن أبي زَمَنِين.

الولادة: (٣٢٤هـ).

وفاته: (٣٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثناء عليه:

قال الذهبي: كان راسخًا في العلم، مُتقنًا في الأدب، مُقتفيًا لآثار السلف، صاحب عبادة وإنابة وتقوى.اهـ.

قال ابن فرحان: وهو من المفاخر الغرناطية. كان من كبار المحدثين والعلماء والراسخين، وأجل أهل وقته قدرًا في العلم والرواية والحفظ للرأي والتمييز للحديث والمعرفة باختلاف العلماء، متفننًا في العلم والآداب، وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب.. مقتفيًا لآثار السلف.

مصادر الترجمة:

«ترتيب المدارك» (٧/ ١٨٤)، و«الديباج المذهب» (ص٧٧) و«السير» (١٧/ ١٨٨)، و«العبر» (٢/ ١١٢).

مجمل العقيدة:

اشتملت هذه العقيدة على ذكر مجمل اعتقاد أهل السُّنة والجماعة في معظم أبواب السُّنة والاعتقاد.

وتميزت هذه العقيدة بأنها من إمام من أئمة المالكية، ويحكي فيها اتفاق أهل السنة في مسائل الاعتقاد.

مصدر العقيدة:

هذا المعتقد لخصته وانتقيته من كتاب «أصول السُّنة» لابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذا الكتاب مفيد في بابه ابتدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كل باب من أبواب الاعتقاد بذكر ما اتفق أهل السُّنة عليه، ثم ذكر الأدلة عليه من الكتاب والسُّنة وآثار سلف الأمة مسندة إلى أصحابها.

وقد اقتصرت في هذا المعتقد على ذكر كلامه تحت كل باب، ونقله اتفاق أهل السُّنة ممن أدركهم وممن كان قبله من أهل العلم.

وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على الأصل المخطوط من هذا الكتاب، ثم قابلته بنشرة مكتبة «ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا» (١٤٣٥هـ)، وما كان بين [ ] فمنه.

صورة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

قال أبو عبد الله الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي زمنين رضي الله عنه:

الحمد لله الذي شكر على ما به أنعم، وعاقب على ما لو شاء منه عصم، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى آل محمد أجمعين، وأعوذ بالله من هوى مُضلّ، وعمل غير متقبلٍ، وأسأله الزيادة في اليقين، والعون على اتباع سبيل المؤمنين.

وبعد؛

فإن بعض أهل الرغبة في اتباع السُّنة والجماعة؛ سألني أن أكتب له أحاديث يشرف على مذاهب الأئمة في اتباع السُّنة والجماعة الذي يقتدي بهم، وينتهي إلى رأيهم، وما كانوا يعتقدونه ويقولون به في: الإيمان بالقدر، وعذاب القبر، والحوض، والميزان، والصراط، وخلق الجنة والنار، والطاعة، والشفاعة، والنظر إلى الله عز وجل يوم القيامة، فأجبته[1] بما سأل عن تأليف هذا الكتاب.

وزادني رغبة فيه: ما رأيته من حرصه على تعلُّمِ ما يلزم تعلّمه، ولا عُذر لجاهلٍ في ترك السؤال والبحث عن أصول الإيمان والدين وشرائع المسلمين، وقد ألزمه الله عز وجل ذلك بقوله: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

(١) في الأصل: (فإجابة) ولعل الصواب ما أثبته.

وكذلك لا عُذر لعالم في كتمان ما يُسأل عنه مما فيه كتاب ناطق، أو سُنَّة قائمة عمن يجهله للميثاق الذي أخذه الله تبارك وتعالى على العلماء في قوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ولا توفيق إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

١ ـ اعلم رحمك الله أن السُّنة دليل القرآن، وأنها لا تدرك بالقياس، ولا تؤخذ بالعقول، وإنما هي في الاتباع للأئمة، ولما مشى عليه جمهور هذه الأُمَّة.

وقد ذكر الله ﷻ أقوامًا أحسن الثناء عليهم، فقال: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

وأمر عباده فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢ ـ واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله: يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علمًا، والعجز عما لم يَدْعُ إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧].. ومثل هذا في القرآن كثير.

فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه، وشيء، وله وجه، ونَفْس، وغير ذلك كما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم، الأول ولا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية لا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء [مما] خلق، والباطن بَطَنَ علمه بخلقه تعالى، وهو بكل شيء عليم، حي قيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم.

فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه ﷺ، وليس في شيء منها تحديد، ولا تشبيه، ولا تقدير، فسبحان من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾، لم تره العيون فتحدّه كيف هو كينونيته؛ لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به.

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأسماء ربنا وصفاته قائمة في التنزيل، محفوظة عن الرسول ﷺ، وهي كلها غير مخلوقة ولا مستحدثة، فتعالى الله عما يقول الملحدون علوًّا كبيرًا.

٣ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ وإليه يعود.

قال [زُهير بن] عبَّاد: كان كلُّ من أدركته من المشايخ: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وفُضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وغيرهم ممن أدركت من فُقهاء الأمصار: مكة، والمدينة، والعراق، والشام، ومصر وغيرها يقولون: القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، ولا ينفعُهُ علمٌ حتى يعلم ويؤمن أن القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق.

٤ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الله ﷻ خلق العرش واختصَّه بالعلوِّ والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

فسبحان من بَعُدَ فلا يُرى، وقَرُبَ بعلمِه وقدرتِه فسَمِعَ النجوى.

٥ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنَّه موضع القدمين.

٦ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الله ﷻ بائنٌ من خلقه، مُحتجبٌ عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف].

٧ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الله ﷻ ينزل إلى السماء[1] الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا[2] فيه حدًّا.

قال زُهير بن عبَّاد: كل من أدركت من المشايخ؛ مالك، وسفيان، وفضيل بن عياض، وعيسى، وابن المبارك، ووكيع كانوا يقولون: النزول[3] حق.

٨ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الله ﷻ يُحاسب عباده يوم القيامة ويسألهم مُشافهةً منه إليهم.

قال ﷻ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

---

(١) في الأصل: (ينزل إلى السماء الدينا).
(٢) في الأصل: (يجدوا)، والتصويب من «الحموية» (ص٣٥٩).
(٣) في الأصل: (التنزل)، وما أثبته من «الحموية» (ص٣٦٠).

وهل يحاسب العباد إلَّا الذي خلقهم، وتعبدهم، وأحصى أعمالهم، وحفظها عليهم حتى يسألهم عنها؛ فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وهو العليم القدير.

٩ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه.

وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

فسبحان من ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

١٠ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن اللوح المحفوظ والقلم حقٌّ يؤمنون بهما.

قال عز من قائل: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج].

١١ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الجنة والنار قد خُلقتا.

قال ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ﴾ [غافر: ٤٦].

١٢ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بأن الجنَّة والنَّار لا تفنيان، ولا يموت أهلوهما.

قال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨].

ولو لم يذكر الله تبارك وتعالى الخلود إلَّا في آية واحدة

لكانت كافية لمن شرح الله صدره للإسلام؛ ولكن ردَّد ذلك ليكون له الحُجَّة البالغة.

١٣ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بالحفظة الذين يكتبون أعمال العباد.

قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار].

١٤ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بأن ملك الموت يقبض الأنفس.

قال ﷻ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

فإذا قبض نفسًا مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة، وإذا قبض نفسًا كافرة أو فاجرة دفعها إلى ملائكة العذاب، وهو قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾، يعني(١): يقبضونها من ملك الموت ثم يصعدون بها إلى الله، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

١٥ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بأن هذه الأمة تُفتن في قبورها، وتُسأل عن النبي ﷺ كيف شاء الله، ويصدقون بذلك بلا كيف.

قال الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

١٦ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بعذاب القبر أعاذنا الله وإياك من ذلك.

قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

---

(١) في المطبوع: (بل يقبضونها).

قال عبد الملك [بن حبيب] رَحِمَهُ اللَّهُ: وفتنةُ القبر وعذابُه عند أهل السنة والإيمان بالله قويٌّ، ليس عندهم فيه شكٌّ، ومن كذَّب بذلك فهو من أهل التكذيب بالله، وإنما يُكذب به الزنادقة الذين لا يؤمنون بالبعث، وقد اطَّلَعَ من كلامهم طرف رأيته دبَّ في الناس، خفت عليهم من الضلال في دينهم وإيمانهم، فاحذروهم فهم الذين قالوا: إن الأرواح تموت بموت الأجساد؛ إرادة التكذيب بعذاب القبر وبما بعده.

١٧ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بأن للنبي ﷺ حوضًا أعطاه الله إيَّاه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

١٨ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بالميزان يوم القيامة.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة].

١٩ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بالصِّراط، وأن الناس يمرُّون عليه يوم القيامة على قدر أعمالهم.

٢٠ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بالشفاعة.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء].

٢١ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يدخل ناسًا الجنة من أهل التوحيد بعدما مسَّتهم النار برحمته تبارك وتعالى اسمه وبشفاعة الشافعين.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحجر].

وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر].

٢٢ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بطلوع الشمس من مغربها.

٢٣ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بخروج الدَّجَّال ـ أعاذنا الله وإياك من فتنته ـ.

٢٤ ـ وأهل السُّنة: يؤمنون بنزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال.

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] يعني: عيسى.

وقال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] يعني: قبل موت عيسى.

٢٥ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن المقادير كلَّها خيرَها وشرَّها، حُلوها ومُرَّها من الله عز وجل، فإنه خلق الخلق وقد عَلِم ما يعملون وما إليه يصيرون، فلا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع.

وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

ومثل هذا في القرآن كثير.

٢٦ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الإيمان إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح، على نية حسنة، وإصابة السُّنة.

وقال الله عز وجل: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

والإيمان بالله: هو باللسان، والقلب، وتصديق ذلك العمل.

فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلَّا بصاحبه.

٢٧ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الإيمان درجات ومنازل يتم، ويزيد وينقص، ولولا ذلك استوى الناس فيه، ولم يكن السابق فُضِّلَ على المسبوق(١).

وبرحمة الله وبتمام الإيمان يدخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة فيه يتفاضلون في الدرجات، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١] ومثل هذا في القرآن كثير.

قال ابن وضاح: قال زُهير بن عبَّاد: كل من أدركت من المشايخ مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح وغيرهم لا يُكَفِّرون أحدًا بذنبٍ، ولا يشهدون لأحدٍ أنه في الجنة وإن لم يعص الله، ولا أنه في النار وإن عَمِلَ الكبائر، ومن خالف هذا فهو عندهم مُبتدع.

قال حسين بن الحسن المروزي: نعم هذا هو الحقُّ، ولا يقول خلافه إلَّا زنديق.

٢٨ ـ وأهل السُّنة: لا يحجبون الاستغفار عن أحدٍ من أهل القبلة، ولا يرون أن تُترَك الصلاة على من مات منهم، وإن كان من أهل الإسراف على نفسه.

وقال ﷻ لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

٢٩ ـ والأحاديث في نفي الإيمان بالذنوب كثيرة، وربما

(١) وفي المطبوع: (ولم يكن للسابق فضل على المسبوق).

ذكرت لك شيئًا مما يستدل به على معاني ما ضاهاها مما لم أذكره، وبتحريف[١] تأويلها كفَّر الخوارجُ الناس بصغار الذنوب وكبارها، منها:

«**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..**»[٢].

و«**ما هو بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»[٣].

قال محمد ابن أبي زمنين: فهذه الأفعال المذمومة في هذه الأحاديث لا تزيل إيمانًا، ولا توجب كفرًا.

وقد قال بعض العلماء: معناها: التغليظ ليهاب الناس الأفعال التي ذكر في الحديث أنها تنفي الإيمان وتجانبه.

وقال بعضهم: المراد بها أنها تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه، فلا يكون إيمان من يركب هذه المعاصي خالصًا حقيقيًّا كحقيقة إيمان من لا يركبها.

لأهل الإيمان علامات يُعرفون بها، وشروطًا أُلزِموها، ينطق بها القرآن والآثار، فإذا نُظِرَ إلى من خالط إيمانه هذه المعاصي قيل: ليس مما وُصِف به أهل الإيمان، فنفيت عنه حينئذ حقيقة الإيمان وتمامه، وهذا التأويل أشبه. والله أعلم.

ويصدقه عندي قول عمر رضي الله عنه: لا يبلُغُ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو مُحق، والكذب في المزاح.

(١) في الأصل: (وتحريف).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (١١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رضي الله عنه.

٣٠ ـ والأحاديث التي فيها ذكر الشرك والكفر، مثل:

«**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(١).

و«**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»(٢).

فهذه الأحاديث وما أشبهها معناها: أن هذه الأفعال المذكورة فيها أخلاق الكفار والمشركين وسننهم؛ منهي عنها ليتحاشاها المسلمون.

وأما أن يكون من فعل شيئًا منها مشركًا بالله أو كافرًا فلا، يَدُلُّك على ذلك قول النبي ﷺ: «**الشِّركُ أخفى من دبيبِ النَّملِ على الحجر**». فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك شيئًا إذا قلته خلصتَ من الشرك**»، قال: بلى يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**قل: اللّهم إني أعوذ أن أُشركَ بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم**»(٣).

ومن الكفر ـ أيضًا ـ ما جاء في الأحاديث ما يكون معناه كفر النعمة.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٢ و٦١٦٦)، ومسلم (٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وغيره.

(٢) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (١٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) روى أحمد (١٩٦٠٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**أيها النَّاس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**». فقال له: من شاء الله أن يقول، وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: اللّهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم**».

منه قول النبي ﷺ في النساء: «**ورأيت أكثر أهلها النساء**». قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**بِكُفرهنَّ**». قيل: يكْفُرن بالله؟ قال: «**يكْفُرن العشير، ويَكْفُرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط**»(١).

٣١ ـ والأحاديث التي فيها ذكر النفاق، مثل:

«**أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنَّ كانت فيه خَصلةٌ من النفاقِ حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعدَ [أ]خلف، وإذا عاهَد غَدرَ، وإذا خاصمَ فجر**»(٢).

قال: والنفاق لفظٌ إسلاميٌّ لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفُهُ، وهو مأخوذ من (نافق اليربوع)، وهو جُحر مِن جُحرته يخرجُ منه إذا أُخِذَ عليه الجُحر الذي فيه دخل، فيقال: قد نفق ونافق ومنافق، يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعَقْد، شبيه بفعل اليربوع؛ لأنه يدخل من بابٍ ويخرج من باب، فما كان من الأحاديث التي فيها ذكر النفاق فليس(٣) معناها: أن من فعل شيئًا مما ذُكِرَ فيها فهو مُنافق كنفاق من يُظهر الإسلام ويُسرُّ الكفر.

إنما معناها: أن هذه الأفعال والأخلاق من أخلاق المُنافقين وشيمهم وشرائعهم هذا ومثله.

٣٢ ـ والأحاديث التي فيها ذكر البرآءة، مثل:

«**من شهر علينا السِّلاح فليس مني**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٤) (٢٤٥٩)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) في الأصل: (وليس).

(٤) رواه البخاري (٦٨٧٤ و٧٠٧٠)، ومسلم (٩٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

«**من غشنا فليس مِنّا**»[١].

قال: من العلماء من قال: معنى هذه الأحاديث ليس مثلنا.

وقال بعضهم: معناها: أنه من فعل هذه الأفعال فليس من المطيعين لنا، وليس من المقتدين بنا، ولا من المحافظين على شرائعنا.

هذه النعوت وما أشبهها، [إما أن يكون أراد بها التبرُّؤ من فِعلها، وأما أن يكون أراد بها التبرؤ ممن فعلها، فيكون من غير أهل الملة فلا].

والدليل على صحة هذا التأويل ـ والله أعلم ـ قوله: «**ليس منا من لم يأخذ مِن شاربه**»[٢]. فهل يجوز لأحدٍ أن يتأوَّلَ على رسول الله ﷺ التبرُّؤ ممن لم يأخذ شاربه؟

٣٣ ـ ومن الأحاديث التي شبَّه فيها الذنب بأجزاء أكبر منه، أو قُرِنَ به؛ مثل:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل يسأله عن الكبائر؟ فقال: «**أن تدعو لله ندًّا وهو خلقك، وأن تقتلَ ولدَكَ مَخافةَ أن يطعم معك، وأن تزاني حَليلةَ جارِكَ**». ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ... ﴿٦٨﴾﴾ الآية [الفرقان: ٦٨][٣].

وقوله ﷺ: «**عُدِلت شهادة الزور بالإشراك بالله**» ـ ثلاث مرات ـ ثم تلا: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾[٤].

---

(١) رواه أحمد (٧٢٩٢)، ومسلم (١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (١٩٢٦٣)، والترمذي (٢٧٦١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (٨٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود (٣٦٠١)، وابن ماجه (٢٣٧٢) من حديث خريم بن فاتك الأسدي رضي الله عنه.

«من مات مُدمنًا خمرًا ماتَ كعابدِ وثن»(١).

ومعنى الإدمانِ عند أهل العلم: أن يكون شاربُها يعتقدُ التمادي فيها ولو لم يشربها في السنة إلَّا مرَّة إذا كانت نيته العودة إليها فهو مُدْمِن.

وما كان من هذا النوع من الأحاديث التي شُبِّه الذنب بأجزاءٍ أعظم منه أو قُرِنَ به، فالمعنى فيها:

أن من أتى شيئًا من تلك الذنوب فقد لحق بمن شُبِّه به في لزوم اسم المعصية به، إلَّا أن كلَّ واحدٍ منهما في الإثم على قدر ذنبه.

وبتحريف أهل الزيغ والأهواء المضلَّة لمعاني هذه الأحاديث التي سطرتُها لك في هذا الباب والأبواب الأربعة قبله، وتفسيرهم لها بآرائهم: نفوا أهل الذنوب من المؤمنين عن الإيمان، وكفَّروهم، وحجبوهم الاستغفار، ولم يوالوهم.

ونحن نسأل الله المُعافاة مما ابتلاهم به، ونسألُه الثباتَ على طاعته، والتوفيقَ لمرضاته.

٣٤ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الوعدَ فضلُ الله ﷻ ونعمتُهُ، والوعيد عدلُه، وأنه جعل الجنة دار المُطيعين بلا استثناء، وجهنم دار الكافرين بلا استثناء، وأرجى لمشيئته من المؤمنين العاصين من شاء، والله يحكم لا مُعقِّب لحكمه، ولا يُسأل عن فِعله.

---

(١) روي موقوفًا عن عبد الله بن عمرو ﭬ، وروي نحوه عن غير واحد من التابعين وقد خرجتها في كتاب «الإيمان» للإمام أحمد.

فوعده تبارك وتعالى للمؤمنين المُطيعين صِدقٌ، ووعيدُه للكفار والمشركين حَقٌّ، ومن مات من المؤمنين مُصرًّا على ذنبه فهو في مشيئته وخياره، وليس لأحدٍ أن يَتَسوَّر على الله في علم غيبه ومحجوب قضائه فيقول: أبى ربُّك أن يغفر للمُصرِّين، كما أبى أن يُعذِّب التائبين، ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦﴾ [النور: ١٦].

٣٥ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشُرَ محاسنهم وفضائلهم، ويُمسكَ عن الخوض فيما دار بينهم ﵃.

وقد أثنى الله ﷻ في غير موضع من كتابه ثناءً أوجب التشريف إليه بمحبتهم والدعاء لهم، فقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٨، ٩].

٣٦ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن أفضل هذه الأُمَّة بعد نبينا ﷺ: أبو بكر وعمر، وأفضل الناس بعدهما: عثمان وعلي.

قال ابن وضاح: سألت يوسف بن عدي، فقلت له: أبو بكر وعمر أفضل هذه الأمة بعد نبيها؟

قال: نعم، وليس يختلف في ذلك إلَّا من لا يُعبأ به، وإذا أردت فضلهما فانظُر أين هما؟ جعلهما الله مع نبيه في قبر.

قال يوسف: وإنما وقع الاختلاف في التفضيل بين عثمان وعلي، وأنا أقول: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، هذا رأيي،

ورأي من لقينا من أهل السُّنة، ولا يسع القول بما سوى ذلك.

قال عبد الله بن المبارك: نأخذ بإجماع أصحاب النبي ﷺ وندع ما سواه، وقد اجتمعوا على أن عثمان رضي الله عنه خيرهما[1].

فعثمان خير هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر، ثم بعدهم علي، ثم خيرُ هذه الأُمَّة بعد هؤلاء الأربعة: أصحاب الشُّورى، ثم أهل بدرٍ، ثم الأول فالأول من سائر أصحاب النبي ﷺ نعرف لهم حقَّ سابقهم.

٣٧ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن السُّلطان ظِلُّ الله في الأرض، وأنه من لم يرَ على نفسه سُلطانًا بارًّا كان أو فاجرًا فهو على خلاف السُّنة.

قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

فالسمعُ والطاعةُ لولاةِ الأمرِ أمرٌ واجبٌ، ومهما قصَّروا في ذاتهم فلم يبلغوا الواجب عليهم، غير أنهم يدعون إلى الحقِّ ويأمرون به، ويردون عنه، فعليهم ما حُمِّلوا، وعلى رعاياهم ما حُمِّلوا من السمع والطاعة لهم.

٣٨ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن صلاة الجمعة والعيدين وعرفة مع كل أمير برٍّ أو فاجرٍ من السُّنة والحق، وأن من صلى معهم ثم أعادها فقد خرج من جماعة من مضى من صالح سلف هذه الأُمة.

وذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩].

---

(١) في الأصل: (خيرهم).

وقد علم جل ثناؤه حين افترض عليهم السعي إليها وإجابةَ النداء لها أنه يُصلِّيها بهم من مُجرمي الولاة وفُسَّاقها من لم يُحمد، فلم يكن ليفترض على عباده السعي إلى ما لا يجزيهم شهوده ويجب عليهم إعادته، وقضاتهم وحُكّامهم ومن استخلفوه على الصلاة، والصلاة وراءهم جائزة.

قال ابن وضَّاح: سألت حارث بن مسكين هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟

فقال: أما الجمعة خاصَّةً فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم.

قال ابن وضَّاح: وسألت يوسف بن عدي عن تفسير حديث النبي ﷺ: «**خلف كل برٍّ وفاجرٍ**»؟ قال: الجمعة خاصَّة.

قلت: وإن كان الإمام صاحب بدعة؟

قال: نعم، وإن كان صاحب بدعةٍ؛ لأن الجمعة في مكانٍ واحدٍ ليس توجد في غيره[1].

٣٩ ـ ومن قوله أهل السُّنة: أن دفع الصدقات إلى الولاة جائزٌ، وأن الله قد جعل ذلك إليهم في قوله: ﴿أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وفي قوله لنبيه ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

٤٠ ـ ومن قول أهل السُّنة: أن الحجَّ والجهادَ مع كل برٍّ أو فاجر من السُّنة والحقِّ.

---

(١) ما لم تكن بدعته مُكفِّرة، فإن كانت كذلك فإنك تصلي خلفه وتعيد الصلاة، كما تقدم ذلك في عقيدة البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٦).

وقد فرض الله الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وأعلمنا بفضل الجهاد في غير موضع من كتابه، وقد علم أحوال الولاة الذين لا يقوم الحجُّ والجهادُ إلَّا بهم، فلم يشترط، ولم يُبيِّن ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤].

قال عبد الملك بن حبيب: سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالجهاد مع الولاة وإن لم يضعوا الخُمُسَ موضعه، وإن لم يُوفوا بعهدٍ إن عاهدوا، ولو عملوا ما عملوا، ولو جاز للناس تركُ الغزو معهم بسُوء حالهم لاستُذلَّ الإسلامُ، وتُخُيِّفت أطرافُه، واستُبيح حريمُه، ولعلا الشِّركُ وأهلُه.

٤١ ـ ولم يزل أهل السُّنة: يَعيبون أهل الأهواء المُضلَّة، وينهون عن مجالستهم، ويُخوِّفون فتنتهم، ويُخبرون بخلافهم، ولا يرون ذلك غيبةً لهم، ولا طعنًا عليهم.

٤٢ ـ واختلف أهل العلم في تكفير أهل الأهواء.

فمنهم من قال: إنهم كفار مُخلَّدون في النار.

ومنهم من لا يبلغ بهم الكفر ولا يُخرجُهم عن الإسلام، ويقول: إن الذين هم عليه فسوق ومعاصٍ، إلَّا أنها أشدُّ المعاصي والفسوق، وهذا مذهب مشايخنا بالأندلس والذي يعتقدونه فيهم.

وكانوا يقولون: لا يواضع[1] أحدٌ منهم الكلام والاحتجاج؛ ولكن يُعرَّفُ برأيه رأي السوء، ويستتاب منه فإن تاب وإلَّا قُتل.

---

(١) في «تهذيب اللغة» (٤/٣٩٠٦): المواضعة: أن تواضع صاحبك أمرًا تناظره فيه.

٤٣ ـ قد أعلمتك بقول أئمة الهدى وأرباب العلم فيما سألت عنه، وفي غير ذلك مما لم[1] تسأل عنه من أصول السُّنة التي خالف فيها أهل الأهواء المُضلَّة كتاب الله وسُنة رسوله ونبيه ﷺ، ولولا أن أكابر العلماء يكرهون أن يُسطَّرَ شيءٌ من كلامهم ويُخلَّدَ في كتابٍ؛ لأنبأتُك من زيغهم وضلالهم بما يزيدُك رغبةً في الفِرار عنهم، ونعوذ بالله من فتنتهم.

عصمنا الله وإياك من مُضلَّات الفتن،

ووفقنا لما يُرضيه قولًا وعملًا، وقرَّبنا إليه زُلفى زُلفى.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وسلم تسليمًا.



(١) في الأصل: (لا).